الأمل والتفاؤل

بقلم أ. عصام العطار

أكتب هذه السطور ونحن نودّع عاماً راحلاً ، ونستقبل عاماً جديداً

وأتمنّى أن نودّع مع العام الراحل – في جملة ما نودّع – ما غَمَرَ العالَمَ العربيّ والإسلاميّ ، وغمرَ أكثـــرَ العـــرب والمسلمين ، من اليأس والتشاؤم والإحباط ؛ فلا شَيْءَ كاليأسِ والإحباطِ والتشاؤمِ يُثَبِّطُ الهمم ، ويُقْعِدُ عن العمـــل ، ويُفسِدُ مع الحاضرِ المستقبل

وكيف يأملُ الإنسان في غَدِه ، ويتطلّعُ إليه ، ويتخذُ الأسبابَ والوسائل ليجعلَه أفضلَ من يومِه ، وهو غارق في يأسه وتشاؤمه ؟!

حتى على الصعيد الفكريّ !... تفكيرُ اليائس المتشائم تفكير سلبيّ انهزاميّ استسلاميّ ، يُبرّرُ الخضوع والخنـــوع والهمود ، والرضا بالواقع مهما كانت حقارة الواقع ، ولا يتجاوز الحاضر البائس القريب ، إلى مستقبل بعيد كريم ؛ يستشرفُ آفاقَه ، ويُخَطّطُ لبلوغه ، ويَسْتثيرُ له المشاعرَ والعزائم ، ويواكبُ رَكْبَه العتيد ، يشاركهُ الكفاح ، ويَحْدو له ، وينير له الطريق

❋ ❋ ❋

وأتمنّى أن نستقبل العام الجديد وقلوبُنا عامرة بالأمل والتفاؤل ؛ فلا شيءَ كالأمل والتفاؤل – بعدَ الإيمان – يُولِّدُ الطاقة ، ويَحْفِزُ الهمم ، ويدفع إلى العمل ، ويساعد على مواجهة الحاضر ، وصنع المستقبل الأفضل

الأملُ والتفاؤلُ قوّة

واليأسُ والتشاؤم ضعف

الأملُ والتفاؤل حياة

واليأسُ والتشاؤم موت

وفي مواجهةِ تحدّياتِ الحياة ، وما أكثرَ تحدّياتِ الحياة ! ، ثَمّةَ صِنفانِ من الناس ، وموقفانِ أساسيّان :

يائسٌ متشائم يواجه تحدّيات الحياة بالهزيمة والهرب والاستسلام !

وآملٌ متفائل يواجهها بالصبر والكفاح ، والشجاعة والإقدام ، والثقة بالنصر...

وما أروعَ الأملَ والتفاؤل ، وما أحلاه في القلب ! وما أعونَه على مُصَابرةِ الشدائد والخطوب ، وتحقيق المقاصـــد والغايات !

يَفـــيضُ مِـــنْ أَمـــلٍ قلـــبي ومـــنْ ثِقَـــةٍ لا أعـــرفُ اليـــأسَ والإحبـــاطَ في غَمَـــمِ[1]
اليـــأسُ في ديننـــا كُفْـــرٌ ومَنْقَـــصَةٌ لا يُنبِـــتُ اليـــأسَ قلـــبُ المـــؤمنِ الفَهِـــمِ

❋ ❋ ❋

نعم – أيها الإخوة الأحبة –

اليأس والتشاؤم ثمرة من ثمرات الكفر ، وصفة من صفاته ، وليس يجوز لمسلم بصير بأمر دينه أن يستسلم لليأس ، ويُمَكِّـــنَه من قلبه

وكيف يرضى المسلمون الصادقون الواعون ذلك لأنفسهم ، وهم يقرؤون قولَ ربّهم عزّ وجل :

﴿ ... لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ... ﴾ [الزمر : 53]

وقولَ الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام :

﴿ ... وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر : 56]

وقولَ الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام :

﴿ ... وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف : 87]

❋ ❋ ❋

وما أكثرَ أمثلةَ الأملِ والتفاؤلِ في سيرةِ رسولِ الله ﷺ ، وسِيَرِ أصحابه ! وما أكثرَها أيضاً على امتدادِ التـــاريخِ الإسلاميِّ والبشريِّ البعيدِ والقريب !

❋ ❋ ❋

ما دام الزمنُ يجري

وما دامت الأيامُ يُداولها اللهُ بينَ الناس

وما دام التغييرُ سنةَ الحياة

وما دمنا نثق بربّنا وديننا ، ونثق بأنفسنا ، وبوعد الله الصادق لنا ، ونأخـــذ بمـــا أمـــر اللهُ مـــن الوســـائل والأسباب ، ونبذل كلَّ ما نستطيع ، كلَّ ما نستطيع... فلا يأسَ ولا تشاؤمَ ولا إحباط ، بل أملٌ متلألـــئٌ يـــضيءُ القلوبَ والعقول والدروب والآفاق ، وتفاؤلٌ صادق – رغم كل شيء – بنصر الله عز وجل

أيها الإخوة الأحبة !

استقبلوا العامَ الجديدَ بالبُشرى والأمل والتفاؤل

املؤوا بذلك صدورَكم ونفوسَكم ، ودعوه يجري في دمائكم مع دمائكم ، واشحذوا هِمَمَكم وعَزائِمَكم ، فإنَّ علينا أن ننجز الكثيرَ الكثير ، لأنفسِنا ، وللعربِ والمسلمين ، وللإنسانيّةِ والإنسان

الحواشي

(1) الغَمَم : جمع غُمّة ، وهي الهمّ والحزن .